ضع المرأة لدى الأمم والحضارات السابقة، ومقارنتها بالإسلام

عبدالمطلب رفعت سرحت - كفري

الجزء الثاني

المرأة في بلاد فارس

بلاد فارس وما أدراك ما بلادُ فارس.. تعتبر الإمبراطورية الفارسية التي تعرف بدولة الفرس أو (الدولة الكسورية)، من أعظم وأكبر الدول التي سادت المنطقة قبل البعثة النبوية، حتى أنها فاقت الإمبراطورية البيزنطية في الشهرة والقوة، وقد مرت هذه الدولة بعدة أطوار قبل البعثة وبعدها.

كان نظام الحكم كسروياً مطلقاً يقف على رأسه الملك ولقبه (كسرى) وصلاحياته مطلقة, وأحياناً

يوصف بصفات الألوهية.. فـ(كسرى أبروين) وصف نفسه بـ(الرجل الخالد بين الآلهة، والإله العظيم جداً بين الرجال) مما يدل على الغرور والتعاظم, في حين وصفه المؤرخون بـ (الملك الحقود المرائي الجشع الرعديد).

أما بالنسبة لوضع المرأة تحت ظل الدولة الفارسية (الكسورية) فلم تكن بأفضل حال من المرأة الهندية والتي تحدثنا عنها سابقاً, بل لربما كانت أسوأ حالاً في بعض الأحيان.

وامتازت الحضارة الفارسية بكثرة الديانات الوضعية والمنحرفة كالمانوية والزرادشتية والمزدكية والتي دعت معظمها إلى الإباحية في كل شيء.

وكانوا يعيشون عيش الوحوش في الغابات حتى أنهم كانوا يأسرون النساء ويغتصبونهن.

وكل هذه الديانات التي ذكرتها تركت بصماتها السيئة بشكل لافت للنظر على حياة المرأة بل والأسرة.

ففي الطبقات العالية (الغنية أو المالكة) من المجتمع الفارسي كان يحتم على المرأة الانغلاق في المنزل وتحرم عليها رؤية المحارم أو الرجال وإن كان أباً أو أخاً أو عماً أو خالاً, فهي سجينة منزلها ! ! .

أما المرأة في الطبقات الفقيرة من المجتمع الفارسي فكانت أفضل حالاً من قرينتها في الطبقات الغنية في بعض الحالات فقط, حيث لم يحتم عليها الانعزال والانغلاق ومنعها من رؤية الأب أو الأخ أو العم أو الخال إلا أنها وبالرغم من ذلك ظلت منبوذة ومحتقرة وليس عليها سوى تنفيذ الرغبات والطلبات.

كانت الحياة الاجتماعية في بلاد فارس تقوم على عمادين: (النسب والملكية) ، فكان يفصل النبلاء عن الشعب حدود محكمة , وكان لكل فرد مرتبته ومكانه المحدد في الجماعة.

وإن من أسوأ ما امتاز به المجتمع الفارسي من سوء الخُلق هي (الإباحية) في كل شيء, فقد كان المجتمع الفارسي يحل البنت والأخت والعمة والخالة بل وحتى الأُم! !, والشقيقة وغير الشقيقة والجمع بين الأختين! ! وبنات الأخ وبنات الأخت.

والزواج بالمحرمات كان سائداً عندهم وانتشر بشكل لافت للنظر ولم يكن يمثل هذا النوع من الزواج عندهم معصية بل كان عملاً مستحباً وصالحاً ويتقربون به إلى الله زلفى! ! .

دون أن يكون لهم أي وعي في إن هذا النوع من الزواج يمثل أغتصاباً لعفة المرأة وكرامتها, بل وجاعلاً إياها فريسة يحق لكل شخص اقتناصها.

فرغم كل هذه التصرفات الشاذة والبعيدة عن خُلق الإنسانية وكرامة البشرية التي وهبها الله تعالى لعباده, فإنهم كانوا ينفونها في فترة الطمث (الحيض) ويعزلونها في مناطق بعيدة عن المدينة وفي خيام خاصة ويعتبرونها نجسة ولا يجوز مخالطتها إلا من قبل الخدم الذين كانوا يقدمون لها الطعام والشراب, وهي لم تسلم حتى من أولئك الخدم الذين كانوا يعتبرونهن نجسات, فكانوا يُغطون أُنوفهم وآذانهم وأفواههم وأيديهم بلفائف من القماش خوفاً من التنجس, وكانوا يعتبرون الهواء الموجود داخل الخيام نجسة, وباعتقادهم هذا فإن المرأة تصبح أنجس وأقذر من الكلاب في فترة حيضها ! ! .

أما في عهد زرادشت فكان اعتقاده أن العالم ناشئ من أصلين (النور والظلمة) وهما في نزاع معاً ويتناوبان في النصر والهزيمة.. وفي هذا العهد أي (عهد زرادشت) تمتعت المرأة ببعض الحقوق كاختيار الزوج إلا أن قوانين زرادشت الوضعية كانت شديدة وظالمة بحق المرأة بعكس الرجل الذي كان يفعل ما يحلو له نفسه دون أي قيدٍ أو ضغط وبحرية مطلقة لا يُحاسب على صغيرة ولا كبيرة.

أما المرأة فكانت تُعاقب عقوبة صارمة إذا ما نتج منها أي فعل خاطئ, وحينما تُثبت الأدلة والبراهين بعدم إخلاص المرأة لزوجها فيحتم عليها قانون زرادشت أختيار مصيرها بنفسها ألا وهو (الانتحار).

ومما يجدر الإشارة إليه فإن المرأة كانت تحت وطأة الرجل يحكم عليها بالموت إن شاء أو الحياة وبما يحلو له نفسه.

ولو تتبعنا تأريخ بلادِ فارس لوجدناه أنه لم يكن إلا مجتمعاً حربياً ولهذا السبب كان الذكور أحبُ إليهم من الإناث, ذلك أن الذكور هم أداة الحرب والمعركة وعِماد الجيش, أما البنات فلا يمثلن أي رَصيد في المعركة, وبالتالي فليست لها أدنى رصيد في المجتمع.

أما الديانة المزدكية فقد ظهرت عام 487م وكان يدعوا إلى ما دعى إليه زرادشت من الادعاء بالثنائية وأن النشأ من أصلين (النور والظلام) غير أنه كان يرى فيهما أي (النور والظلام) أنهما أُخوة وأن الناس سواسية وعليهم العيش مساواة وأهم ما تجب فيه المساواة هي المال والنساء.

وكانت المزدكية قد أحلت النساء وأباحت الأموال وجعل الناس شركة فيها كشراكتهم في النار والكلأ.

وقد حظيت هذه الدعوة بموافقة الشبان والأغنياء والمترفين، وناصرها الحكام والملوك، حتى انغمست الدولة الفارسية في الفوضى الخُلقية وطغيان الشهوات والدعارة والإباحية وضاعت الإنسانية والرجولة وطغت الفساد عن الخلق الرفيع.

ونتيجة تلك المساواة الغير شرعية القائمة على الأهواء والملذات والغرائز الجنسية أصبح الرجل لا يعرف ولده, ولا المولود يعرف والده ! !, أيُ كرامة هذه؟!.. وأيُ إنسانية؟!.. ولعل الضمير والغيرة كانتا غائبتان عندهم! ! .

أما ظهور الديانة (المانوية) فكان يعتبر رد فعل ضد النزعة الإباحية السائدة في البلاد، حيث كانت تدعوا إلى حياة العزوبة لحسم مادة الفساد والشر، وحرم مؤسس هذه الديانة النكاح وأعتبر قطع النسل أداةً لانتصار النور على الظلمة.

ومما هو معروف عن المجتمعات الفارسية أنها كانت تنظر إلى المرأة بأنها سبب كل شر! ! وكانت تُباع بيع البهائم والحيوانات, وكانت المرأة مهانة محتقرة وتحت وطأة الرجل المطلقة.

وكانت الاسرة الفارسية تقوم على أساس تعدد الزوجات عن الحد المعقول وكان وضع المرأة يشبه وضع الرقيق حيث بامكان الزوج أن يتنازل عنها لزوج آخر دون رضاها إن شاءت أو أبت, كما شاعت عادة التبني للأولاد, إضافة إلى ذلك فقد انتشرت الإباحية وعمّ الفساد الخُلقي والاجتماعي.

بدأت أخرج مع امرأة غير زوجتي

نا الانترنت

بعد 21 سنة من زواجي، وجدت بريقاً جديداً من الحب، قبل فترة بدأت أخرج مع امرأة غير زوجتي، وكانت فكرة زوجتي حيث بادرتني بقولها: أعلم جيداً كم تحبها... المرأة التي أرادت زوجتي ان أخرج معها وأقضي وقتاً معها كانت أمي التي ترملت منذ 19 سنة، ولكن مشاغل العمل وحياتي اليومية، أطفال ومسؤوليات جعلتني لا أزورها إلا نادراً، في يوم اتصلت بها ودعوتها إلى العشاء سألتني: هل أنت بخير ؟ لأنها غير معتادة على مكالمات متأخرة نوعاً ما وتقلق. فقلت لها: نعم أنا ممتاز ولكني أريد أن أقضي وقت معك يا أمي . قالت: نحن فقط؟!! فكرت قليلاً ثم قالت: أحب ذلك كثيراً..

في يوم الخميس وبعد العمل، مررت عليها وأخذتها، كنت مضطرب قليلاً ، وعندما وصلت وجدتها هي أيضاً قلقة، كانت تنتظر عند الباب مرتدية ملابس جميلة ويبدو أنه آخر فستنان قد اشتراه أبي قبل وفاته.

ابتسمت أمي كملاك وقالت: قلت للجميع أنني سأخرج اليوم مع إبني، والجميع فرح، ولا يستطيعون انتظار الأخبار التي سأقصها عليهم بعد عودتي.

ذهبنا إلى مطعم غير عادي ولكنه جميل وهادئ تمسكت أمي بذراعي وكأنها السيدة الأولى، بعد أن جلسنا بدأت أقرأ قائمة الطعام حيث أنها لا تستطيع قراءة إلا الأحرف الكبيرة، وبينما كنت أقرأ كانت تنظر إلي بابتسامة عريضة على شفتاها المجعدتان وقاطعتني قائلة: كنت أنا من أقرأ لك وأنت صغير، أجبتها: حان الآن موعد تسديد شيء من ديني بهذا الشيء .. ارتاحي أنت يا أماه.

تحدثنا كثيراً أثناء العشاء لم يكن هناك أي شيء غير عادي، ولكن قصص قديمة و قصص جديدة لدرجة أننا نسينا الوقت إلى ما بعد منتصف الليل، وعندما رجعنا ووصلنا إلى باب بيتها قالت: أوافق أن نخرج سوياً مرة أخرى، ولكن على حسابي. فقبلت يدها وودعتها.

بعد أيام قليلة توفيت أمي بنوبة قلبية. حدث ذلك بسرعة كبيرة لم أستطع عمل أي شيء لها، وبعد عدة أيام وصلني عبر البريد ورقة من المطعم الذي تعشينا به أنا وهي مع ملاحظة مكتوبة بخطها : دفعت الفاتورة مقدماً كنت أعلم أنني لن أكون موجودة، المهم دفعت العشاء لشخصين لك ولزوجتك. لأنك لن تقدر ما معنى تلك الليلة بالنسبة لي......أحبك ياولدي.

في هذه اللحظة فهمت وقدرت معنى كلمةحب أو أحبك، وما معنى أن نجعل الطرف الآخر يشعر بحبنا ومحبتنا هذه، لا شيء أهم من الوالدين وبخاصة الأم، إمنحهم الوقت الذي يستحقونه ..فهو حق الله وحقهم وهذه الأمور لا تؤجل.

بعد قراءة القصة تذكرت قصة من سأل عبدالله بن عمر وهو يقول: أمي عجوز لا تقوى على الحراك وأصبحت أحملها إلى كل مكانٍ حتى لتقضي حاجتها... وأحياناً لا تملك نفسها وتقضيها علي وأنا أحملها ...أتراني قد أديت حقها ؟ ... فأجابه ابن عمر: ولا بطلقة واحدة حين ولادتك ... تفعل هذا وتتمنى لها الموت حتى ترتاح أنت وكنت تفعلها وأنت صغير وكانت تتمنى لك الحياة ارسلها لكل شخص تعرف أن أحد والديه على قيد الحياة.

أتمنى أن أكون سبباً في تغيير بعض من قرأها طريقة تعامله مع أحد والديه أو كلاهما

كيف تكون سعيدا

دلين مصلح

يتصور كثير من الناس ان السعادة في المال والصحة او المنصب او الجاه، او المسكن المريح والحياة الرغدة ، او غير ذلك من المتع والنعيم .

وهذا التصور ليس على وجه الحقيقة بحال ، فان كل هذه الاشياء يمكن ان تكون سببا لتعاسة الانسان وشقائه بدلا من جلب السعادة والهناء اليه ، وذلك اذ لم يفهم المغزى الحقيقى للسعادة .

ولذلك فاننا كثيرا ما نجد اناسا اغنياء يتمتعون برغد العيش ونعيم الحياة وترفعها ، لكنهم مع ذلك تعساء ، لايشعرون بالرضى ولا يعرفون طعم السعادة ،فهؤلاء لا (يعيشون) ولا (يحيون) ويعيشون كما يعيش القط والفار والهوام ، ولكن الحياة الحقيقة انما تكون موصولة بالله ، قوامها الايمان بالله تعالى واساسها العمل الصالح ، هذا الحياة التي يقول الله تعالى عنها (من عمل صلحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ماكانوا يعملون) تلك الحياة الحقيقية ..الحياة مرتبطة بالله ...الموصولة به... فالحياة كلها لله لايوجد جزء من حياتنا لغير الله .فلا نقول ان الناحية الاقتصادية لـ(كارل ماركس) والاجتماعية لـ(ادوار كايم) ، والسياسة و لابد ان يكون كله لله عز وجل .

تلك هي الحياة التى يقول فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) (مثل الذي يذكر ربه والذي لايذكره مثل الحي والميت).

وما هي السعادة :

السعادة هي راحة البال . فراحة البال تاتي من شيئين . الاول الامن وعدم الخوف والثاني : الرضا وعدم الحزن وهذا يتحقق بالايمان ..

جاء رجل الى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فقال : يارسول الله ، قل لي في الاسلام قولا لا اسال عليه احدا بعدك . قال: (قل امنت بالله ثم استقم) ان النبي (صلى الله عليه وسلم) اسعد الناس :

لايوجد انسان اسعد من سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) فهو سيد ولد ادم سيد المرسيلين والاخرين ، وهو الرحمة المهداة الى الخلق اجمعين .

قال الله تعالى في حقه:

(الم نشرح لك صدرك ووزعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك) فكيف كان يعيش النبي وكيف كان اسعد البيوت كان بيته يظل بالشهر والشهرين لايوقد فيه النار ، اي لايطهي فيه الطعام فكانوا يعشون على التمر واللبن ، وكان سعيدا ، فالسعادة ليس بالاكل وكثرة الطعام .

***كيف نحقق السعادة :**

كي نحقق السعادة لارواحنا يجب ان نهتم بغذاء ارواحنا كما نغذي اجسادنا ، والا فلن نجد التوازن . ونجد انفسنا تائهين في متاهة المادة نجلب لانفسنا التعاسة من حيث لاندري . اذا تاملنا وضع الانسان في الغرب بعد ان همشوا الدين وتخلوا عن الحياة الروحية التى تحقق التوازن للانسان ،نجد ان كثيرا من الناس يفتقدون معنى السعادة الحقيقية بعد ان سيطرت عليهم التعاسة . بدليل ان اكبر نسبة انتحار توجد في السويد ، واكبر دخل للفرد في السويد فلماذا اذن ينتحر انسان معه اموال يتمتع بكل شيء .. الطعام ، والشراب ، والرفاهية ، الجنس ، لكن اين الروح ، الروح محرومة ، مريضة ، تريد الاتصال بالله من اجل ذلك هي ليست سعيدة .

فكيف نحقق السعادة

نجري توازنا بين الروح والجسد ، فمثلا حينما ننام فان الجسد (الطين) يستريح لكن في الصلاة الفجر – والصلاة خير من النوم – يكون الجسم ، شبع ، والروح الجائعة تريد الاستيقاض لله الصلاة الفجر ، وحينما نستيقض للصلاة ونحرم انفسنا من النوم لكن روحه قلقة حائرة .. مخنوقة . لذلك يصفه المبي (صلى الله عليه وسلم) بانه (خبيث النفس كسلان) روحه لم تاخذ الغذاء لان غذاها كان في الصلاة . صلاة الفجر فالروح تعبت . فانعكس ذلك على الجسم فالسعادة اذن سعادة الروح بطاعة الله واللجوء اليه والاعتصام به ، وتنفيذ اوامره واستخدام الاعضاء فيما امر الله به